من تاريخ العمران في مدينة الرياض(١)

صاحب السمو الملكي الأمير / سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، أما بعد

فقد شرفتني - أيها الأخوة الحضور - هذه الجمعية بدعوتي وإياكم هذه الليلة لحضور دورتها السنوية، ونحمد الله أن كان هذا اللقاء التاسع في هذه القاعة في مركز الملك عبد العزيز للمحاضرات، وهذا أول نشاط يمارس في هذه القاعة، وهذا فأل حسن إن شاء الله، فنحن في موقع تاريخي فعلاً وفي موقع عمراني يمثل الفرق بين ما كان وما هو موجود.

أيها الأخوة، من الأشياء التي يجب أن نذكرها هو أن العمران قبل كل شيء عمران النفس وعمران الروح بالإيمان بالله قبل كل شيء، فهذا العمران الداخلي الروحي هو الذي يعطينا الأمل، ويعطينا الفرصة في تعمير أرض الله.

> **العمران الداخلي الروحي هو الذي يعطينا الأمل، ويعطينا الفرصة في تعمير أرض الله**

أيها الأخوة، هذه البلاد - والحمد لله - تنعم بهذا العمران الروحي الداخلي في نفس الإنسان، وهذا سر تقدم هذه البلاد وعمرانها.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في ٢٣/١/١٤٢٠هـ بمناسبة تشريف صاحب السمو الملكي الأمير/سلمان بن عبدالعزيز آل سعود الدورة السنوية للجمعية السعودية لعلوم العمران "الدورة التاسعة " في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي بمدينة الرياض.

والأمر الآخر في العمران هو عمران هذه البلاد، وأنا أعتقد ـ ولا أملُّ من تكرار هذه الكلمة ـ أن العمران هو عمران الرجال؛ وأذكر أني في أول عملي لم أكن أعرف مهندساً سعودياً واحداً، فلا تجد في أمانة مدينة الرياض مثلاً إلا ما ندر؛ إذ كانوا يعدون على الأصابع؛ إذاً العمران الآخر هو ما بذلته هذه الدولة في تهيئة الفرص لأبنائها لاكتساب العلم والمعرفة في خارج هذه البلاد في بعثات لكل دول العالم العربية والإسلامية ودول أخرى في أوروبا، وبعد ذلك أنشئت الجامعات والكليات المتخصصة ككلية الهندسة وغيرها.

ونحن نرى ـ والحمد لله ـ اليوم آلاف الرجال الذين يعمرون ويشرفون على العمران والتخطيط في هذه البلاد؛ إذاً هذا هو التعمير الثاني، وهذا شيء نحمد الله – عز وجل – عليه.

وهذه الجمعية السعودية للعمران هي جمعية نحن في حاجة إليها للمواءمة بين الماضي والحاضر؛ إذ يجب أن نحافظ على الأصالة، وعلى عمران يتلاءم مع بيئتنا.

يجب أن نحافظ على الأصالة، وعلى عمران يتلاءم مع بيئتنا

نعم بدأنا التعمير في هذه البلاد بكل مناطقها بتعاون مع أخوة لنا مهندسين، وأغلبهم من البلاد العربية، ولم يكن هناك طابع سعودي مميز في كل المناطق، ومنها الرياض، وسأتحدث هنا عن الرياض على وجه الخصوص؛ لأن الرياض رمز، وهي عنوان المملكة كلها، نحن نعلم أن الأخوان الذين جاؤونا وساعدونا نقلوا ما درسوه وما تعلموه من بيئتهم، وهذا شيء طبيعي، ولكن كنا في حاجة قصوى لأن نبدأ التعمير، ولم يكن هناك خطط مسبقة لإقامة مشاريع متكاملة؛ لأن الناس يريدون سكناً وطرقاً ومياهاً وكهرباء وهواتف، ولو انتظرنا حتى توضع الخطط لتأخرنا عشرات السنين حتى نصل إلى ما وصلنا إليه الآن.

وأذكر هنا أننا واجهنا اختياراً صعباً؛ إذ كان لنا في أمانة مدينة الرياض وقت أزمة السكن رأيان: إما أن يوقف كل العمران حتى تصل الخدمات لها، وهذا صعب جداً، أو أن نترك الناس تعمر، ثم نلحقهم بالخدمات، فوازنّا الأمر، ففضّلنا الأمر الثاني، وحُلَّت الأزمة، ولله الحمد.

إذاً كنا محتاجين في الماضي أن نعمل بسرعة في هذه البلاد حتى نؤمّن للناس خدماتهم، وأنا أعني كل المملكة، ولكن حديثي الآن عن الرياض على وجه الخصوص لأني عايشتها، وأذكر أنه لم يكن في الرياض شارع مسفلت؛ ولم يكن هناك بيت مبني بالإسمنت المسلح إطلاقاً، كانت الرياض مدينة محاطة بسور، وأذكرها: بوابة الثميري والقرَيّ ودخنة وغيرها، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وكانت الأبواب مقفلة عند العشاء أو الساعة الثالثة أو الرابعة، وهذا يعادل الساعة التاسعة الآن، ويفترض أن تكون الأبواب مقفلة في ذلك الوقت، وكان المربع الذي ترى عمرانه الآن خارج السور، وهذ المربع كان فيه الملك عبد العزيز يرحمه لله، وكان يمارس عمله في قصر الديرة قصر الحكم الحالي صباحاً، وكان قصر المربع مقر الملك عبدالعزيز وسكنه، وفيه جزء من ديوانه يمارس فيه عمله بعد العصر وبالليل وفي الصباح في قصر الحكم، وعندما أقول هذا فإني أعني أهم مركزين في الرياض.

ولم يكن آنذاك أي زحام، بل كان هناك شارع واحد يبدأ من دروازة المربّع الجنوبية قبل بوابة الثميري عند شارع الإمام فيصل مرصوف بالحجر، وليس إسفلتاً بل حجر رصف، لا يتسع لسيارتين، متعرج حتى يصل إلى شارع الملك فيصل إلى أن يصل إلى بوابة الثميري، ثم ينتهي، هذا هو الشارع الوحيد في الرياض.

وكانت السيارات تأتي من شارع الثميري أو من أسواق الرياض الصغيرة، وإذا تقابلت سيارتان فإنه لا يمكن لهما المرور معاً، وكان

الغبار يشبه الضباب؛ لأنه لم يكن الشارع مزفتاً، وكان هذا حالنا آنذاك، ولم أعرف أي بيت حجر في الرياض إلا بعد أوائل السبعينات من الهجرة.

وكان من الصعب أن نخطط آنذاك لكل الأمور؛ إذ لم يكن عندنا الوقت الذي نستطيع أن نخطط فيه، ونسعى فيه لأن يكون فيه عندنا عمران يتلاءم مع بيئتنا، وثانياً أننا لم نكن نملك موارد مالية، وكما هو معلوم فإن موارد النفط لم تبدأ تدرّ دخلها كما ينبغي إلا سنة خمسين للميلاد؛ أي قبل وفاة الملك عبد العزيز بثلاث سنوات، وكانت قليلة، ولا تفي بحاجة البلاد، فأنشئ في الرياض بلدية صغيرة تُعنى بنظافة بعض المرافق القليلة فقط، وممن كان يقوم عليها الأخ محمد حسن أخضر، وبعده في عهد الملك سعود بدأ بتعيين الأخ فهد الفيصل الفرحان رحمه الله.

ثم بدأنا في وضع الركائز الأساسية فهدم السور الحامي للرياض، وبدأ الناس يسكنون في المربع وخارج سور الرياض في الحنبلي وغيرها، كما توسع الناس وتوجهوا إلى جنوب الرياض، فسكنوا في ما يسمى حلة الأحرار، ولم يكن هناك مكان يباع فيه أكل إلا فيها؛ لأن سيارات النقليات التي تأتي من المنطقة الغربية من مكة ومن جدة قبل أن يكون هنا سكة حديد كانت تأتي من هناك محملة بالبضائع، ويقف أصحابها؛ ليأكلوا من المطاعم، ولم تكن مطاعم بالمعنى المفهوم الآن بل هي دكاكين في الواقع تقدم بعض الأكلات كالمطبق والمشبك والسنبوسة.

وأذكر أنا عندما كنا صغاراً نشتري من هناك الأكلات الخفيفة لعدم وجود المقاهي والمطاعم والمخابز؛ لأن البيوت كانت مفتوحة للضيافة، وكل شخص يأتي إلى قريبه أو صديقه، وكان الأكبر مضاف الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الخاص في القصر والثاني في

ثليم؛ إذ كان الناس يأكلون مجاناً. فهذا رياضكم الذي تعلمونه في عهد الملك عبد العزيز.

وعندما وصلت سكة الحديد من الدمام إلى الرياض دفعت بعجلة النهضة والتقدم؛ إذ صارت الرياض ميناء تأتيه المواد من هذه النقطة عام ١٣٧١هـ، وبدأت الرياض تتطور شيئاً فشيئاً؛ إذ أزيل السور من الرياض، وبدأت الحارات في الاتساع شرقاً بجانب المرقب وحلة القصمان، وغرباً بحي البديعة، وأذكر هذا الحي؛ إذ كنا نخرج من الرياض من المدرسة في قصر الحكم إلى البديعة، فنطلع من دروازة الشميسي، وكانت صحراء، ولا يوجد شيء بين وادي حنيفة والبديعة إلا عليشة مزرعة الأمير محمد، وكان فيها خط مرصوف؛ لأن الضيوف يسكنون في قصر الرياض في البديعة في ذاك الوقت، وبعد ذلك اتسعت الرياض في كل اتجاه، أما الفوطة فقد كانت نخيلاً، وكذلك الوسيطى التي داخل الرياض كانت نخيلاً قبل، ولا أكاد أميز معالمها الآن مع أني كنت أعرفها تمام المعرفة.

ولو رأيتم صوراً جوية للرياض في الخمسينات لرأيتم حقيقة ما كان وما أقوله لكم، ولو أخذنا البيع والشراء مثالاً لنقل صورة آخرى لما كان في ذلك الوقت؛ فإني أذكر وأنا طفل أنّا كنا نذهب مع الأطفال في دكاكين شارع الثميري، ونشتري الحلوى، وكان الملك عبدالعزيز يشتري للأطفال منه، وأنا أقول هذا الكلام لنرى صورة من الماضي وما وصلنا إليه الآن.

وأذكر كذلك أن اجتماعاتنا في الرياض ـ بعد ما صار عندنا شيء من التطور ـ كانت في مقصف شركة الراشد أمام بوابة الثميري، وكان هو المكان الذي تعقد فيه الاحتفالات والاجتماعات، ولكن الآن لو أردنا أن نعقد عشرين مؤتمراً في الرياض لتمكنا من عقدها بسهولة.

وفي عهد الملك سعود عيّن الأخ فهد الفيصل ـ كما قلت ـ وانتقلت الدوائر الحكومية إلى الرياض، وبعدها فتحت شوارع داخل البلد، وهنا أحب أن أنبه على أمر، وهو أن فتح الشوارع كان القصد منه توسيع طرق للمرور، ومنها كذلك أن يستفيد أصحابها من التقديرات التي تقدرها الدولة لهم، وهذا ما أكده لي الملك فيصل رحمه الله، واستطاعوا بها أن يبنوا ويعمروا بالطريقة التي ترونها الآن، فكل البيوت من الحجر؛ لأن كل شخص يريد بيتاً يسكن فيه، ولم يكن هناك وقت للتخطيط السليم.

فتح الشوارع كان القصد منه توسيع طرق للمرور، ومنها كذلك أن يستفيد أصحابها من التقديرات التي تقدرها الدولة لهم

وبعد تولي الأخ عبد العزيز الثنيان أمانة مدينة الرياض أنشأنا وكالة وزارة البلدية ـ وزارة شؤون البلديات، فجاءت فكرة مخطط دوس كيادس وهو المخطط الأساس في الرياض في الواقع، وبدأ عندنا شيء من التخطيط السليم، ثم كان الملك فهد ـ سلمه الله ـ هو وزير الداخلية، وأمر بتشكيل لجنة تشرفت برئاستها لتقويم مخطط لمدينة الرياض، وقد سار العمل بهذا، ثم تحولت لجنة التقويم إلى هيئة تطوير مدينة الرياض، وفي الوقت الحاضر بدأ التخطيط العمراني نفسه، والتخطيط الحكومي أكثر منه تخطيطاً عمرانياً للبناء، فكان دفعاً كبيراً للتطور في عهد الملك فيصل رحمه الله، وقد كانت هناك أزمة مالية في أول الأمر لما تسلم الملك فيصل رحمه الله، فكانت الدولة ترتب أمورها، فبدأنا نفتح الشوارع الكبار، ومنها شارع الإمام تركي الذي كان يطلق عليه قبلُ شارع الشميسي الجديد، وشارع الستين أكبر شارع في الرياض، وبعض الشوارع الأخرى.

وبعد عام ١٩٧١ م بدأ الدخل يزيد، وكثرت المشاريع الإنمائية للدولة، ولا أسمي تلك المدة بالطفرة بل أحب تسميتها بالوفرة، وأذكر أن وزارة البلديات في وقت من الأوقات كانت تطلب المشاريع حتى

تعطي الاعتمادات عليه، وقد قام الأخ عبد العزيز الثنيان بواجبه كاملاً وبكل أمانة، وجاء بعده الأخ عبد الله النعيم، وعمل مثل من سبقه بكل أمانة وجهد ممتاز، ومن حسن حظه أن كانت الاعتمادات آنذاك متوفرة، وهذا شيء أسهم في تطوير الرياض بصورة كبيرة.

لا أسمي تلك المدة بالطفرة بل أحب تسميتها بالوفرة

وأحب أن أنبه على أن المشاريع الأساسية كالطرق ومنها الطريق الدائري أو طريق الملك فهد أو طريق مكة أو المشاريع الكبرى في الرياض مثل قصر الحكم أو جامعة الملك سعود أو جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وغيرها، كانت تلك المشاريع أفكاراً عملت على إظهارها هيئة مدينة الرياض في اجتماع تاريخي حوالي عام ١٤٠٢هـ؛ إذ حضر الملك فهد عندما كان ولي العهد فرأس اجتماعاً في الملز في مقر الهيئة سابقاً.

ومن المشاريع كذلك مشروع الحي الدبلوماسي؛ إذ كان هذا من المشاريع الأساسية، ووضعت له لجنة خاصة، وكذلك لجنة خاصة لنقل السفارات، ثم دمجت مع هيئة التطوير في الاجتماع الذي عقد في عام ١٤٠٢هـ، وكان أقوى دفعة جاءت إلى الرياض في الحقيقة بحضور الملك فهد والوزراء المختصين كلهم، وهو رئيس الهيئة؛ إذ توفرت الاعتمادات التي نريد، وكانت هناك سيولة كافية للدولة، وقد عمل الأخ عبد الله جهداً مشكوراً، وكان لمرونته الأثر الكبير في تسهيل كثير من الأعمال وتعقيبه على كثير من الأمور؛ إذ كان يذهب بنفسه للدوائر، ويعقب على المعاملات في كل محل.

وكذلك كان الأخ مساعد العنقري أيضاً وكيل الأمانة الذي تسلّم أمانة مدينة الرياض، وبذل جهداً مشكوراً، والآن الأخ عبد العزيز العياف.

ولو أخذنا مكة مثلاً فإني لا أنسى أهم شيء تمَّ من هذه الدولة، وهو أنها عمرت بيوت الله في مقدمتها الحرم المكي والحرم النبوي؛ إذ بدأت العمارة في عهد الملك عبد العزيز فعهد الملك سعود فعهد الملك فيصل فعهد الملك خالد فعهد الملك فهد، ويجب أن يذكر كل بجهده؛ فالملك فهد ـ شرّفه الله ـ أشرف على العمران حتى نهايته، هذا بالإضافة إلى اهتمامه ببيوت الله في كل مكان.

ولو انتقلنا إلى جدة فإني أذكرها كانت محاطة بسور، وأذكر فيها البغدادية، وأذكر أن أغلب جدة كانت صحراء، واتسع العمران بعدها، وصارت إلى ما نرى من تطور عمراني كبير.

وبمناسبة المئوية فقد طبّق هذا المركز مركز الملك عبد العزيز التاريخي الملاءمة بين الأصالة والحداثة ؛ ففيه بيوت الطين، وفيه دارة الملك عبدالعزيز، وفيه المتحف، وفيه مكتبة الملك عبد العزيز، وفيه قاعة المحاضرات التي نحن فيها الآن، وفيه أماكن ترفيهية، وهذه الملاءمة هي ما نريده في عمراننا.

والمطلوب من الجمعية السعودية لعلوم العمران أن يكون أهم أهدافها أن تعيد بناء بلادنا في المستقبل بما يتلاءم مع بيئتنا، وهذا ما نراه الآن، ولكن نريد أن يكون تخطيطنا بعيد المدى، وأنا واثق من تحقيق هذا الأمر؛ فكل القائمين عليها مدركون لما عليهم من مسؤوليات.

وفي الختام فإني أكرر ما أقول ليس للدعاية ولا للمظاهر، ولكن لذكر الله وحمده والتحدث بنعمته؛ لنشكره على ما أنعم به علينا، ولنذكّر أنفسنا وأجيالنا الحاضرة والمستقبلة بالماضي الذي عانيناه، ثم َتغلَّبْنا عليه بقوة ديننا وعقديتنا ثم برجولتنا وشهامتنا وأصالتنا، والحاضر الذي ننعم به الآن شاهد على كل ذلك، فالحمد لله على هذه النعمة الواسعة، ثم الشكر لملوكنا الذين أوصلونا إلى ما نحن

عليه الآن منذ عهد الملك عبد العزيز المؤسس الباني، وحتى عهد الملك فهد وولي عهده الأمين، ثم الشكر للرجال الذين تعاونوا معنا من أبناء هذه البلاد والبلاد الأخرى في السابق.

أيها الأخوة، إن الحديث يطول في مثل هذا الموضوع، ولكن في هذا القدر كفاية، وأسأل الله التوفيق لكم في ما تبذلونه من جهود خيّرة، وأسأل الله - عز وجل - أن يعلي كلمته، وينصر دينه، ويجعلنا هداة مهتدين، ويديم علينا الإسلام قبل كل شيء وأمننا وطمأنينتنا وتحابنا وأخوَّتنا، وهذه من أجلِّ نعم الله علينا، وأخيراً أشكركم على حضوركم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.